دعوة للاستكتاب

النساء والمعرفة الدينية: نحو مقاربة أخلاقية لموضوع المرأة

د. فاطمة حافظ

1. خلفية تاريخية:

شهد القرن العشرون جملة تبدلات مست أوضاع النساء المسلمات وغيرت بعض المفاهيم والتصورات التي حكمت المجال النسائي في الأزمنة السابقة عليه، فقد شهد خروجَ النساء الجماعي إلى المجال العام، وتزعزعت خلاله المفاهيم والتصورات المتعلقة بالكينونة النسائية ووظائفها الحيوية، كما شهد صراعًا بين تصورين حول المرأة يتمثلان في "المرأة الأنثى" التي تنحصر وظيفتها في إنتاج الجنس البشري وتنشئته، و"المرأة المواطنة" التي هي شريك الرجل في التنمية، وتتساوى معه في الحقوق والواجبات. وكلٌّ من التصورين يثير العديد من الإشكالات، كما يثير التساؤل حول قراءة الممارسة التاريخية للنساء وإعادة تصنيفها وفق التصورين السابقين، ورصد مسار التحولات التي عصفت بمسيرة المرأة في التاريخ الإسلامي الذي اتسم بالتنوع والثراء.

افتُتح القرن العشرون بتساؤلات حول الحجاب ومغزاه وأثره على حركة المرأة في المجال العام، وحقوق النساء في التعليم والعمل وما يفرضه ذلك من تغير في المفاهيم والتصورات، واختُتم القرن بتساؤلات ذات طبيعة أخرى تدور حول إنتاج المعرفة الدينية نفسها ومنتجيها، لكسر احتكار الرجال لعملية التأويل وإنتاج المعرفة الدينية، والتحرر من الفهم الديني السائد؛ بحجة أنه كان نتاج تحيزات ذكورية تاريخية؛ فرضها استئثارهم بقراءة النص الديني وتأويله. وقد أفرزَ هذا التحولَ في طبيعة التساؤلات متغيران رئيسان هما: أحدهما ظهور تنظيمات نسوية وناشطات من داخل الفضاء الإسلامي بعد أن كانت معظم التنظيمات النسوية حتى منتصف القرن تتبنى إما المرجعية الليبرالية أو اليسارية، وثانيهما ظهور أكاديميات ضمن الحركة النسوية بعد أن غلب عليها الطابع الحقوقي والقانوني لعقود. فمع الألفية الجديدة أعلنت باحثات انتماءهن إلى المرجعية الإسلامية والعمل على التوفيق بين الأفكار والمعتقدات النسوية من جهة، والقيم الإسلامية من جهة أخرى، كالعدل والمساواة والإنصاف. ويمكن التمييز بين اتجاهين رئيسين هنا هما:

1) القراءة المباشرة للنص:

ويتمثل في الدراسات النسوية التي قدمت قراءات جديدة للنص الديني وفق مناهج حديثة [1]، ووجهت انتقادات جذرية للعلوم الإسلامية وخاصة الفقه؛ باعتباره المسؤول عن التمييز ضد النساء وتكريس حالة اللامساواة. وقد تأسس هذا التوجه على أمرين؛ الأول: أن التأويل الكلاسيكي للنص اصطبغ بالظروف التاريخية والثقافية التي عاشها المفسرون الأوائل، الأمر الذي حدَّ من عالمية الرسالة الإلهية، فبدلا من أن يرتقي هؤلاء المفسرون إلى مستوى النص نزلوا به إلى سياقاتهم الثقافية الضيقة وإدراكاتهم المسبقة (أمينة ودود، 1999)، والأمر الثاني: أنه ليس ثمة ما يحول دون تقديم النساء تأويلات أكثر إنصافًا، من الناحية النظرية على الأقل..

وقد أثار هذا التأويل النسوي الجديد للنص والتاريخ جدلاً متنوع الأشكال، ولكن الأهم هنا هو أنه فتح الباب أمام سؤال مشروعية إعادة تأويل النص بمعزل عن الإرث التفسيري (أسمته ودود "القراءة المباشرة للنص") من جهة، ومدى دقة القراءة النسوية للتاريخ القائمة على أطروحة المعرفة الذكورية من جهة أخرى. وقد حظي سؤال التأويل عامةً والنسوي خاصة بعدد من الدراسات، كما حظي السؤال عن إسهام المرأة في إنتاج المعرفة ونقلها ببعض الدراسات الجادة كذلك بما يخالف الرؤية النسوية للتاريخ وموقع المرأة منه [2].

---

[1] من أبرز الأسماء في هذا السياق أمينة ودود في كتابها "المرأة والقرآن: إعادة قراءة النص المقدس من منظور المرأة" (*Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective*) الذي تبعته قراءات أخرى لأسماء بارلاس وليلى أحمد ونعمت برزنجي وغيرهن.

[2] انظر في المصادر الكلاسيكية:

- علي بن محمد المعافري المالقي (605هـ)، الحدائق الغناء في أخبار النساء: تراجم شهيرات النساء في صدر الإسلام،تحقيق وتقديم عائدة الطيب، (ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1978)، والجزء المنشور هو 7 أجزاء تم اختيارها من 11 جزءًا حديثيًّا من الأصل المخطوط.
- بدر الدين الزركشي، الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق.

وانظر في الدراسات الحديثة:

- روث رودد، النساء في التراجم الإسلامية، ترجمة عبد الله بن إبراهيم العسكر، (بيروت: دار جداول، 2013).
- أسماء سيد، النساء ونقل المعرفة الدينية، ترجمة أحمد العدوي، (القاهرة: مدارات، 2017).
- عالية عبد الله محمد بالطو، تراجم المحدثات من التابعيات ومروياتهن في الكتب الستة، جمع ودراسة، رسالة ماجستير، كلية إعداد المعلمات بمكة.
- محمد بن عزوز، جهود المرأة الدمشقية في رواية الحديث الشريف، (دمشق: دار الفكر، 2004)
- Marion Katz, *Women in the Mosque: A History of Legal Thought and Social Practice* **(**Columbia University Press, 2014).
- Mohammad Akram Nadwi, *Al-Muhaddithat: The Women Scholars in Islam* (Interface Publications, 2013).

2) القراءة البريئة للنص:

وفي مقابل ما سُمي "القراءة المباشرة للنص" التي تقطع مع المناهج الكلاسيكية، ظهرت في العالم العربي محاولات أخرى لإنتاج تأويلات معاصرة للنص الديني كدورية "المرأة والحضارة" (2002-2000) التي أشرفت عليها الدكتورة منى أبو الفضل وهي إحدى المحاولات التنظيرية الجادة لمقاربة قضية المرأة في القرآن، فقد انطلقت مما أسمته "القراءة البريئة للنص" وهي قراءة تستأنس بالخبرة النسوية ولا تقطع مع الموروث التفسيري وتسمح - مع ذلك - بتقديم انتقادات لبعض ما أنتجه فيما يخص المرأة؛ انطلاقًا من أنه ينبغي التمييز في مصادر التنظير الإسلامي بين مصادر أصيلة (القرآن والسنة الصحيحة)، ومصادر مشتقة (علوم التراث والفكر الإسلامي)، وأن هناك فارقًا بين النص وتأويله، وأنه مهما بلغت دقة التأويلات في فهم مراد النص فإن هذا لا يلغي التمايز الأصلي بينها العائد إلى تباين مصدري النصين.

وتجربة "المرأة والحضارة" ليست الوحيدة في هذا المجال فمنذ أعوام يضطلع مركز "الدراسات والبحوث في القضايا النسائية في الإسلام" التابع للرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب بمهمة إنتاج معرفة دينية تراعي البعد النسوي وتروم تنقية التراث الإسلامي وخاصة التفسيري والفقهي، وجعله أكثر اتساقًا مع المتغيرات الحديثة، وضمن هذا السياق نظمت ندوة (2013) استهدفت مراجعة مفهومي "الولاية" و"القوامة" القرآنيين من منظور يجمع بين المنظورين النسوي والكلاسيكي. وتطرح هذه المحاولات تساؤلات حول إمكانيات إنتاج معرفة نسوية تدمج بين المناهج التراثية والمناهج الحداثية، وعن إمكانية تطوير مقاربة أخلاقية إسلامية تشكل مدخلا للتعامل النقدي مع المقولات التراثية بشأن المرأة.

2. فكرة الندوة وأهدافها:

يبدو مما سبق أن هناك إشكالية تسم علاقة المرأة المسلمة المعاصرة بالمجال الديني وأنها تتخذ منحيين:

المنحى الأول: المرأة بوصفها موضوعًا للبحث وموقعها في المصادر المعرفية النصية والتأويلية وأشكال حضورها، والقيم الحاكمة للخطاب المتعلق بالنساء؛ وذلك بهدف تطوير مقاربة أخلاقية للنص الديني المتعلق بموضوع المرأة من جهة، وتقديم رؤية منهجية نقدية للموروث التفسيري والفقهي بهذا الخصوص بعيدًا عن إكراهات السياق التاريخي والسياق الحالي معًا.

المنحى الثاني: المرأة بوصفها ذاتًا فاعلةً ومنتجة للمعرفة سواءٌ في التاريخ الإسلامي أم في الواقع المعاصر، وتقديم دراسات تقويمية للمنتج النسوي الإسلامي، ورصد توجهاته ومناهجه في إنتاج معرفة نسوية إسلامية، والبحث في حضور وغياب النساء في المجال المعرفي وأسبابه، والفوارق المدّعاة بين المعرفة النسوية والمعرفة الموصوفة بأنها ذكورية، ومصير العدة المنهجية والتأويلية حين يتم تقسيمها على

أساس الجنس. تسعى هذه الندوة إلى معالجة هذين المحورين بمشاركة بعض الباحثين والباحثات من مجالات متعددة التخصصات من أجل معالجة هذه التساؤلات معالجة علمية بعيدًا عن التلونات الأيديولوجية والدعوية، والإسهام في تطوير منهجية لبحث هذا الموضوع.

ويمكن إجمال أهداف الندوة في الآتي:

- تقديم مقاربات أخلاقية حول موضوع المرأة تتجاوز الخطابات الاعتذارية والأيديولوجية معًا، من أجل فهم أعمق للنص والتاريخ وتحولات الزمن الحاضر.
- تقديم دراسات نقدية لظاهرة إعادة قراءة النص الديني من منظور نسوي من خلال نماذج تحليلية بغرض مراجعة المنطلقات والمناهج والأدوات وتحديد ما يمكن البناء عليه وتطويره.
- اختبار مقولات مركزية في الخطاب النسوي من مثل: المعرفة الذكورية، والتحيزات الذكورية، وغياب المرأة عن إنتاج المعرفة، ...
- تقديم دراسات متعددة التخصصات في موضوع المرأة، تتجاوز الرؤى الأحادية والأيديولوجية، ومنفتحة على الدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية معًا.

3. التساؤلات والموضوعات المقترحة

يجب أن تتأسس البحوث المقترحة على ما سبق بيانه، ويمكن إجمال التساؤلات المركزية بالآتي:

المحور الأول: النساء موضوعًا للبحث: صورة المرأة في النصوص التأسيسية والمصادر التراثية

- كيف يمكن تقديم إطار تأويلي لفهم صورة المرأة وموقعها بين الماضي والحاضر؟
- ما المفاهيم الأخلاقية الحاكمة لموقع المرأة في النصوص التأسيسية والنصوص الشارحة (التفسير والفقه ...)؟
- كيف نميز بين المطلق والنسبي فيما يخص الخطاب المتعلق بالمرأة؟
- أحاديث النساء ولماذا تشكل معضلة بالنسبة للخطاب النسوي؟
- ما الذي يحدد ما هو سياقي؟ وإذا كان الخطاب النسوي يتحدث عن سياق تاريخي فرض نفسه على التأويل التاريخي، فهل التأويلات الحديثة متجاوزة لسياقها؟
- هل يمكن استخراج القواعد الأخلاقية الحاكمة في موضوع النساء؟ وما المنهج المقترح لذلك؟

المحور الثاني: ما دور المرأة في إنتاج المعرفة الدينية؟

- ما العوامل التي تسهم في حضورها وغيابها؟

- هل يمكن تقسيم المعرفة على أساس الجنس؟ وبماذا تختلف المعرفة النسوية عن المعرفة الموصوفة بأنها ذكورية؟
- كيف يمكن تقويم التأويل النسوي للنص الديني: توجهاته، مناهجه، ...؟ (أمينة ودود، أسما برلاس، رفعت حسن، فاطمة المرنيسي، حركة مساواة، المرأة والحضارة).
- كيف يمكن تقويم المراجعات النقدية لفقه المرأة من قبل بعض علماء الدين (كالغزالي والقرضاوي وفضل الله وآخرين)؟

4. صفة البحث ومحدداته المنهجية:

يشترط في الملخصات والأوراق البحثية أن تراعي الآتي:

- يعالج البحث قضية محددة نظريا أو موضوعا تطبيقيا بعينه، إذ لن يلتفت إلى المقترحات التي تتناول قضايا عمومية، أو التي لا تحوي إطارا نظريا.
- لن ينظر إلى الدراسات التبريرية أو التي تدور حول إنصاف الإسلام للمرأة وتكريمه لها بطريقة خطابية.
- لن تقبل الأوراق والبحوث التي يغلب عليها الطابع الوصفي والتي لا تقدم مقاربة تحليلية أو نقدية.
- لن ينظر إلى الأوراق والبحوث التي تؤسس نقدها للدراسات النسوية انطلاقا من نظرية المؤامرة واعتبارها وسيلة لتغريب المرأة وعلمنة المجال الاجتماعي.

يدعو مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق الباحثين والأكاديمين المعنيين بالمواضيع المطروحة أعلاه أو ما يتصل بها إلى إرسال الآتي:

- ملخص يتراوح بين 300 إلى 500 كلمة يحدد طبيعة الموضوع والإشكالية البحثية والسؤال الرئيس والأسئلة الفرعية والمنهجية المتبعة.
- سيرة ذاتية موجزة لا تتجاوز صفحة واحدة توضح الخلفية الأكاديمية والاهتمامات العلمية وأهم المنشورات.
- وسوف يتم التواصل مع أصحاب الملخصات المقبولة ودعوتهم لإنتاج الأوراق البحثية الكاملة (7000-10000) وفقا للجدول الزمني المبين أدناه

5. الحلقة النقاشية

ستخضع الملخصات والبحوث الكاملة للتقويم من قبل لجنة علمية ستحدد الأوراق المقبولة وفق المعايير العلمية من جهة ووفق صلة البحث بمقاصد الندوة وأهدافها الموضحة في هذه الورقة المرجعية، ثم ستنتخب عددًا محدودًا من أصحاب الأوراق المقبولة لدعوته للمشاركة في حلقة نقاشية تُعقد في الدوحة، وسيتكفل مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بنفقات إقامتهم وسفرهم.

بعد انتهاء أعمال الندوة، سيتم إرسال الأوراق المقدمة خلال الندوة بالإضافة إلى بقية الأوراق البحثية التي تم قبولها إلى (التحكيم العلمي) وفق الأصول المتعارف عليها التي تخضع لتحكيم مُحكَّمَين اثنين من أهل الاختصاص يجهلان اسم الكاتب، ثم ستُنشر في عدد خاص من "مجلة الأخلاق الإسلامية"، أو كتاب جماعي ضمن سلسلة كتب "دراسات في الأخلاق الإسلامية"، كلاهما تنشره مؤسسة Brill "بريل" للطباعة والنشر.

وستكون الأعمال المنشورة متاحةً مجانًا (open access) لتسهيل الاطلاع عليها من جانب أكبر عددٍ ممكن من القرّاء حول العالم.

6. لغة البحث والحلقة النقاشية

يمكن تقديم الملخصات والأوراق البحثية بالانجليزية أو بالعربية، وستدور الحلقة النقاشية بهاتين اللغتين أيضًا.

7. مواعيد تقديم الملخصات والأوراق البحثية:

- 15 أغسطس 2019: الموعد النهائي لاستلام الملخصات والسير الذاتية.
- 22 أغسطس 2019: إبلاغ أصحاب الملخصات بقرار اللجنة بشأن ملخصاتهم.
- 2 ديسمبر 2019: الموعد النهائي لاستلام الأوراق البحثية الكاملة.
- 10 ديسمبر 2019: إبلاغ المتقدمين بقرار اللجنة بشأن أوراقهم البحثية.
- 10-12 فبراير 2019 موعد انعقاد الحلقة النقاشية في مقر مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بالعاصمة القطرية الدوحة.

للاتصال

- تُرسَل المساهمات البحثية على البريد الإلكتروني women@cilecenter.org

- للاستفسارات العلمية حول هذه الدعوة يمكن مراسلة د. فاطمة حافظ على البريد الالكترونى fatima.hafez3@gmail.com

- للاستفسار عن "مجلة الأخلاق الإسلامية"، يمكن الاتصال على البريد الإلكتروني jie@brill.com